امك. ٣٦ ولدتها، و٤٨ ولدت الصمود فيها، و٦٧ ولدتك أنت منها، واليوم مرة اخرى تلدك امك» (ص٤١).

وأما الحرب اللبنانية، فان صورتها المقررة في الرواية تبقى متفردة في شكلها ولا تناظرها أية صورة للواقع والاحداث بادنى صلة. انها صورة بائسة لا تعادل الواقع الا من حيث كونها مجزرة لا فنية للفن، بقدر ما كانت الحرب مجزرة لا انسانية للانسان. فهي حرب الرموز الفذة للكاتب، حرب «أبو أرز» الذي يبني السور الانعزالي ومعه وإلى جانبه «أبو الهول»، وحرب «ام الاسود» (رمز المقاومة) التي تتحدى بناء السور ببناء الملاجيء...«تلك الفلاحة التي تصعد من جديلتها رائحة الجنوب العنيد»! (ص٧٧). وحرب الاخت الوسطى لفريدة التي قتلت أختها الصغرى - رمز انظمة الوسط - التي تنحاز إلى الرجعية عند استفحال المعركة... «كل هذا بسبب اختك الوسطى يا فريدة، خاننا وذهبت إلى المواقع الحقودة» (ص١٨٨). ومثل هذه الرموز اللفظة تعود إلينا مرة أخرى بالجملة المباشرة الفظة... «وأكدت فريدة بأنها لن تدعها تحقق غايتها، لن تدعها تأخذ منها تل الزعتر، تل الغضب، لن تدعها تأخذ منها تل الطلقات»! (ص١٨٩).

هذه الصورة من البؤس الفني، العارقة في فشلها عن رسم الصورة، تحاول التعلق بشعرة الانقاذ الايديولوجية. لكن الايديولوجيا العارية تتحول إلى سقوط جديد عندما تضع نفسها في موقع المنقذ للفني المتساقط، مهما استجارت واستشطت في الأوهام «الاممية»! التي دفعت بمزيد من المناضلين الفرنسيين إلى تل الزعتر، كمقابل لصورة نضال العامل الفلسطيني في المصانع الفرنسية. ويعبر الكاتب عن «اممية» المناضل الفلسطيني وحسه «البروليتاري»، حين يضعه في قلب الحصار في تل الزعتر مستمعاً إلى صوت الراديو الذي ينقل إليه أخبار انتصارات العمال الفرنسيين! (ص١٩٢).

ويصل «الشطط الاممي» إلى ذروته اذ يدعي المساس بالقلب وأحاسيسه، فيعطي مثل هذه الصورة «للعشق الاممي»:

- «قلت لمارتين انني احب فيك اممتيك، تلك النجمة المشعة في سماء البروليتاريا، والتي تصطخب بموسيقى الآلات العذبة! ذاك الوهج الذي يضيء دروب الخير والعدالة، دروب الخير والعدالة والمساواة، تلك الدروب الاشتراكية العظيمة. قلت لمارتين أحب أن أنهل من ديمقراطيتك كما ينهل العاشق نسغ الحياة من شفتي حبيبته» (ص٩٥). فيا له من عشق رائع هذا الذي يحاول أن يستتير بمبادىء الماركسية اللينينية!!

□ □ □

وتبدأ رواية «مدام حرب»[٧] بمقدمة قصيرة تمنح الرواية شرف القدرة على استشراف المستقبل والتنبؤ بالأحداث قبل حدوثها، مشيرة إلى حرص الرواية على الاحتفاظ بـ«... تلك العفوية المتنبئة التي أعلنت عن الموت - الولادة قبل وقوعه، والولادة - الولادة قبل وقوعها» (المقدمة، بقلم الكاتب ص٧).